وضع مخطط للحوكمة الوطنية باستخدام إستراتيجية "الشوامل الأربعة"*

مع دخول الصين مرحلة حاسمة في مسيرة تحقيق النهضة الوطنية، يصبح الوقت عاملا أساسيا.

وخلال ما يزيد قليلا على عامين، وبإحساس قوي بالمسؤولية والرسالة، عملت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بقيادة شي جين بينغ بصفته الأمين العام، على تحسين حوكمة شؤون الحزب والدولة والجيش بشكل مطرد، مع مراعاة الأوضاع الداخلية والخارجية على حد سواء، وحققت تقدما لافتا في شتى المجالات، شملت الإصلاح والتنمية والاستقرار والشؤون المدنية والعلاقات الخارجية والدفاع الوطني.

وتواصل الصين الآن التقدم في رحلتها نحو تحقيق النهضة الوطنية، بانفتاح أكبر وثقة أقوى وعزيمة أشد.

خدمة الشعب

قال شي خلال مقابلة مع وسائل إعلام روسية في مدينة سوتشي يوم ٧ فبراير ٢٠١٤: "باختصار، سأحكم من خلال خدمة الشعب وأداء جميع مسؤولياتي".

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، ظل هذا المبدأ خيطا ناظما يوجه كامل عملية الحوكمة التي تقودها لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام.

وقال شي بلهجة حازمة في ١٥ نوفمبر ٢٠١٢، عقب انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية، إن "تطلعات الشعب إلى حياة أفضل هي هدفنا".

* تم نشر النسخة الصينية من المقال من قبل وكالة أنباء «شينخوا» في يناير ٢٠١٥.

ويشكل الشعب حجر الزاوية في فلسفة الحوكمة لدى القيادة المركزية الجديدة، في تجسيد للمبدأ الصيني القديم القائل إن "الشعب أساس الدولة؛ والحوكمة الرشيدة تقوم على دعمه".

ولدى شي في ذهنه قدوة يستلهم منها - جياو يوي لو، وهو مسؤول على مستوى المحافظة معروف بتفانيه ونكرانه للذات من أجل الشعب. وقال إنه لطالما اعتبر جياو نموذجا يُحتذى به، وظل يقيس نفسه دائما وفقا لهذا المعيار.

وخلال جولاته التفقدية في محافظة لانكاو بمقاطعة خنان في وسط الصين، حيث عمل جياو سابقا، حث شي أعضاء الحزب والمسؤولين على الاقتداء بجياو في تفانيه الراسخ.

ولطالما كانت رفاهية الشعب في صدارة اهتمامات شي. فمنذ انعقاد المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، قام بجولات مكثفة في جميع أنحاء البلاد - من هضبة اللوس إلى جبال تايهانغ، ومن الجزر الجنوبية إلى المناطق الحدودية الغربية، ومن الحرم الجامعية والقرى إلى المجتمعات السكنية والثكنات العسكرية - للإطلاع على أحوال المواطنين، والاستماع إلى آرائهم، والاهتمام بسبل عيشهم.

وفي ٢٩ نوفمبر ٢٠١٢، في المتحف الوطني الصيني، أثناء زيارة معرض «طريق النهضة»، طرح شي لأول مرة حلم الصين المتمثل في تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية.

وفي ذلك الوقت، تسلمت القيادة المركزية الجديدة راية التاريخ في بلد يشهد تحولات عميقة في نظامه الاقتصادي وبنيته الاجتماعية وأنماط مصالحه وطرائق تفكير شعبه.

وكانت الأولوية القصوى في حوكمة الصين هي بناء التوافق.

ويرى مراقبون أن أهم شيء في بناء التوافق هو السعي إلى تحقيق القاسم المشترك الأكبر، وحلم الصين هو القاسم المشترك الأكبر.

وبالنظر إلى العامين الماضيين، أظهرت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام شجاعة استثنائية وتصميما راسخا وجهودا دؤوبة في بلورة رؤية واضحة وهدف عظيم: حلم الصين لتحقيق النهضة الوطنية.

ومن التعليم والتوظيف إلى السكن والرعاية الطبية، ومن صون الكرامة إلى النجاح الوظيفي وتحقيق القيمة الذاتية، غمرت الأحلام الكثيرة التي نمت خلال العامين الماضيين الصين بالشغف، وأشعلت روح الابتكار وريادة الأعمال والإبداع. وتلاقت جهود كل فرد يسعى إلى تحقيق أحلامه لتشكل زخما هائلا يدفع عجلة التنمية في البلاد.

وشيّد حلم الصين منصة جديدة للتعاون المربح للجميع مع العالم.

وفي نهاية عام ٢٠١٤، نُشر كتاب «شي جين بينغ: حول الحكم والإدارة» بتسع لغات وجرى توزيعه عالميا، حيث حظي باهتمام واسع.

وأشار رئيس الوزراء المصري الأسبق عصام شرف إلى أنه من خلال قراءة هذا الكتاب، تعرف على أسلوب تفكير شي الهادئ ورؤيته الإستراتيجية في إدارة شؤون البلاد.

وفي رسالته بمناسبة العام الجديد لعام ٢٠١٥، جدد شي التأكيد على أن البلاد "ستستجيب لتطلعات الشعب وتحول آماله إلى واقع".

تعزيز إستراتيجية "الشوامل الأربعة"

منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، أخذ الإطار العام والمنهج العام للحوكمة التي تقودها لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام يزداد اكتمالا ووضوحا، ويتجلى ذلك في الجهود المنسقة لبناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، وتعميق الإصلاح بشكل شامل، ودفع سيادة القانون بشكل شامل، وتقوية الحوكمة الذاتية للحزب بشكل شامل، بما بات يُعرف بإستراتيجية "الشوامل الأربعة".

وقبل أكثر من عامين، عندما تسلمت القيادة المركزية الجديدة راية التاريخ، كانت الصين قد دخلت بالفعل المرحلة الحاسمة لبناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل.

ولدى تسليطه الضوء على الحلقات الضعيفة والعقبات التي تواجه بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، أشار شي إلى أن "الرخاء للجميع مستحيل بدون الصحة للجميع" وأن "مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل لن يتم بناؤه دون رخاء معتدل في المناطق الريفية، وخاصة في المناطق الفقيرة".

على مدى أكثر من عامين، ركزت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام على معالجة مشكلات التنمية غير المتوازنة وغير المنسقة وغير المستدامة، في إطار السعي إلى بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل وتحسين جودة التنمية وكفاءتها. وقد شمل ذلك دفع التحول الاقتصادي والارتقاء به، إلى جانب مواصلة مكافحة الفقر والتلوث.

وفي هذه المرحلة الحاسمة، يظل الإصلاح المحرك القوي الذي لا غنى عنه لدفع التقدم.

ومع دخول الإصلاح منطقة المياه العميقة حيث يجب مواجهة التحديات الصعبة، أصبح تعميق الإصلاح بشكل شامل أكثر أهمية من أي وقت مضى.

وفي مثال بارز على هذا الإصلاح، أعلنت جلسة للجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني في نهاية عام ٢٠١٤ أن خطة إصلاح نظام المعاشات التقاعدية قد أُقرت في اجتماع تنفيذي لمجلس الدولة واجتماع للجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية. وقد أشار ذلك إلى أن نظام المعاشات التقاعدية مزدوج المسار سيجري التخلص منه تدريجيا، وهو ما سيؤثر على ما يقارب سبعة ملايين موظف حكومي وأكثر من ثلاثين مليون موظف في المؤسسات العامة.

وخلال أكثر من عامين، تغلبت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام على الصعوبات، ودفعت بالإصلاح في مختلف المجالات بثبات.

وفي أول زيارة يقوم بها خارج بكين بعد انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية، توجه شي إلى مقاطعة قوانغدونغ، في إشارة قوية إلى الالتزام الراسخ بالإصلاح والانفتاح. وفي الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني، أجرى ترتيبات إستراتيجية لتعميق الإصلاح بشكل شامل.

وتكيّفت البلاد بنشاط مع "الوضع الطبيعي الجديد"، وعمقت الإصلاح في النظام الاقتصادي من خلال التركيز على جعل السوق يلعب الدور الحاسم في تخصيص الموارد.

وعملت سلسلة من إجراءات الإصلاح - بدءا من إلغاء أو تفويض أكثر من ٧٠٠ بند من بنود الموافقات الإدارية إلى السلطات الأدنى، إلى التنفيذ الكامل لإصلاح نظام تسجيل رأس المال المسجل، ومن فتح القطاع المصرفي أمام رأس المال الخاص إلى إطلاق برامج تجريبية لإصلاح المؤسسات المملوكة للدولة، ومن الإصلاح المالي والضريبي إلى إصلاح نظام الأراضي الريفية - على إطلاق حيوية السوق وعززت القوة الدافعة الداخلية للاقتصاد.

ولتحديث نظام الحوكمة وقدراتها، عمقت البلاد الإصلاح السياسي من خلال التركيز على الحفاظ على وحدة قيادة الحزب، ومكانة الشعب بصفته صاحب السيادة في البلاد، والحوكمة القائمة على القانون.

وركز المجلس الوطني لنواب الشعب ولجنته الدائمة على تحسين جودة التشريع، والتزم المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني بعقد جلسات تشاور نصف شهرية، وجرى إصلاح نظام إدارة المنظمات الاجتماعية، وأصبح بوسع أربع فئات من المنظمات الاجتماعية التسجيل

مباشرة. وقد ساعدت هذه الإجراءات في تطوير الديمقراطية الشعبية وتحسين قدرة الحوكمة الوطنية.

ولتوفير الأساس المعنوي لتحقيق النهضة الوطنية، عمقت البلاد إصلاح النظام الثقافي من خلال التركيز على ترسيخ القيم الاشتراكية الأساسية وبناء ثقافة اشتراكية قوية في الصين.

واتُخذت سلسلة من الإجراءات التي أضفت حيوية جديدة على المجال الثقافي. وشملت هذه الإجراءات إنشاء مناطق تجريبية وطنية للابتكار في الصناعات الثقافية، وتعزيز عمليات الدمج وإعادة الهيكلة للمؤسسات الثقافية المملوكة للدولة بشكل نشط، وإنشاء وتحسين الهيئات القيادية وآليات التنسيق بين الجهات المعنية بإدارة الإنترنت، وتعزيز التنمية المتكاملة للإعلام التقليدي والجديد، وتسريع الجهود الرامية إلى توسيع الانتشار العالمي للثقافة الصينية.

ولتمكين المزيد من الناس من تقاسم ثمار التنمية، عمقت البلاد إصلاح البنية الاجتماعية من خلال التركيز على ضمان وتحسين رفاهية الشعب وتعزيز العدالة والإنصاف الاجتماعين.

وجرى الكشف عن إجراءات إصلاحية، بما يضمن أن يكون المجتمع نابضا بالحياة ومتناغما ومنظما. وشملت هذه الإجراءات دفع إصلاح نظام التسجيل للأسر، والسماح للأزواج بإنجاب طفل ثان إذا كان أحد الوالدين ابنا وحيدا، وتعزيز إصلاح نظام الامتحانات والقبول، وتعميق إصلاح النظام الطبي والصحي، وتحسين نظام المساعدات الاجتماعية.

وللدخول في عصر جديد من التقدم الإيكولوجي الاشتراكي، عمقت البلاد إصلاح أنظمة الحفاظ على البيئة من خلال التركيز على بناء صين جميلة.

وتشمل الإجراءات تنقيح قانون حماية البيئة وقانون الوقاية من التلوث الجوي ومكافحته، وتقييم تنفيذ خطة العمل للوقاية من تلوث الهواء ومكافحته، ورفع رسوم تصريف الملوثات، وإطلاق برامج تجريبية للسيطرة على التلوث البيئي من قبل أطراف ثالثة. وتسهم إجراءات الإصلاح هذه مجتمعة في ترسيخ نمط جديد من التحديث، حيث تتطور البشرية والطبيعة في وئام.

في عام ٢٠١٤، وتحت قيادة لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام، تم طرح ٣٣٦ إجراء لتعميق الإصلاح بشكل شامل، وتم إنجاز المهام الثمانين الرئيسية للإصلاح التي حددتها المجموعة القيادية المركزية لتعميق الإصلاح الشامل التابعة للجنة الحزب المركزية، وتم الدفع بالإصلاح قدما إلى مجالات مهمة وروابط حاسمة.

وفي أواخر خريف عام ٢٠١٤، اتجهت أنظار العالم مرة أخرى إلى بكين. وشددت الدورة الكاملة الرابعة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني على "دفع سيادة القانون بشكل شامل"، بما يوفر ضمانات مؤسسية لتحقيق هدف بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل.

وتم الكشف عن أكثر من ١٨٠ إجراء رئيسيا، من بينها منح صلاحيات تشريعية محلية للمدن التي تضم مناطق تابعة لها، مما يوضح العزم الراسخ والالتزام الحازم للجنة الحزب المركزية في دفع سيادة القانون من حيث المبدأ والممارسة على حد سواء.

في عام ٢٠١٤، تم إحراز تقدم ملموس في دفع سيادة القانون. فقد أُسدلت الستارة على قضية كبرى لعصابة إجرامية ذات طابع مافيوي بصدور أحكام نهائية: تم توقيع غرامة قياسية على فرع شركة الأدوية البريطانية «غلاكسو سميث كلاين» في الصين لدفعه رشاوى؛ وأُطلقت إصلاحات تجريبية للنظام القضائي في ست مناطق على مستوى المقاطعات بما فيها شانغهاي وقوانغدونغ؛ وجرى تنقيح قانون الإجراءات الإدارية لأول مرة، مما وسّع بشكل أكبر القنوات القانونية المتاحة للمواطنين لمقاضاة السلطات الإدارية.

ما هي الضمانة القوية والأساسية لبناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل؟ يجيب شي "إدارة الحزب بصرامة على نحو شامل".

فمن قرار القيادة المركزية للحزب بشأن "الضوابط الثمانية" لتحسين أسلوب عمل الحزب والحكومة، إلى حملة التثقيف والتطبيق حول الخط الجماهيري للحزب، ومن حملة مكافحة الفساد التي تستهدف كل من "النمور" و"الذباب" على حد سواء، إلى اعتماد معايير الكفاءة في تعيين المسؤولين، بما يتجاوز عدد الأصوات والدرجات ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي ومعايير السن، عززت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام بشكل ملحوظ قدرة أكبر حزب حاكم في العالم على الإبداع والكفاءة والتماسك خلال الأعوام الماضية.

المثابرة لتحقيق الأهداف المنشودة

منذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، تحلت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام بالثقة ورباطة الجأش، واتبعت نهجا عمليا ومسؤولا، مظهرة

أسلوب حكم يتسم بالثبات والتميز.

وخلال أكثر من عامين منذ توليه منصبه، حافظ شي على وتيرة عمل متواصلة - حيث أجرى ١١ زيارة خارجية إلى ٣١ دولة، واستقبل أكثر من ١٠٠ رئيس دولة وحكومة أجنبية زائر، وقام بأكثر من ٢٠ جولة تفقدية محلية شملت أكثر من ٢٠ مقاطعة ومنطقة ذاتية الحكم وبلدية ومنطقة إدارية خاصة ومؤسسات للتعليم العالي ودوائر مركزية.

وبنهجها الواقعي والعملي، تعرض القيادة المركزية الجديدة أمام العالم حيوية بلد يسير على طريق تحقيق النهضة الوطنية.

من مكافحة هدر الطعام إلى كبح مظاهر الإسراف، يتم التعامل مع القضايا الصغيرة على أساس من الإصرار والدقة. ويبعث هذا العزم الثابت الطمأنينة لدى الجمهور بشأن ثقة القيادة المركزية وتصميمها على تنفيذ السياسات بصرامة.

وقال شي إن "دق مسمار غالبا ما يتطلب أكثر من ضربة واحدة، ويستلزم الأمر الدق مرة تلو الأخرى حتى يثبت المسمار بإحكام".

وبهذه الروح المستمدة من "دق المسامير"، واصلت القيادة المركزية، على مدار أكثر من العامين الماضيين، مواءمة الأقوال مع الأفعال. وركزت أعمالها على القضايا الحاسمة، بما يضمن تحقيق كل إجراء بشكل كامل.

في عام ٢٠١٤، اجتاحت البلاد حملة مكثفة لمكافحة الفساد. ومع سقوط مسؤولين كبار مثل تشو يونغ كانغ وشيوي تساي هو ولينغ جي هوا وسو رونغ، أظهرت القيادة المركزية عزمها على معالجة التحديات المتجذرة بعمق عبر إجراءات حازمة، والشجاعة اللازمة لإجراء تعديلات صعبة ولكنها ضرورية.

ورغم إدراكه الكامل للضغوط والتحديات التي ينطوي عليها ذلك، أكد شي بوضوح "نحن ملتزمون بغاية الحزب ورسالته، وبتطلعات الشعب".

وقد شكلت الثقة سمة مميزة للقيادة المركزية الجديدة منذ توليها مهامها. وتتجلى هذه الثقة في الالتزام الراسخ بالمسار الصيني، وفي تحليها برباطة الجأش عند مواجهة "الوضع الطبيعي الجديد" للاقتصاد، وفي عزمها الإستراتيجي على مواجهة التحديات الخارجية.

قال هان تشينغ شيانغ من مدرسة الحزب التابعة للجنة الحزب المركزية إن "أسلوب الحوكمة لدى القيادة المركزية الجديدة، المتميز بالعملية والمسؤولية والثقة، يتجلى بوضوح في

حوكمة البلاد وفي جميع مجالات عملها، بما في ذلك المساعي الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والبيئية والعسكرية والدبلوماسية وبناء الحزب".

ركوب الأمواج والإبحار قدما

في عدد يناير ٢٠١٥ من المجلة الأمريكية «فانيتي فير»، كتب الخبير الاقتصادي الحائز على جائزة نوبل، جوزيف ستيغليتز، مقالا بعنوان «القرن الصيني»، أشار فيه إلى أن "الصين تدخل عام ٢٠١٥ في موقع الصدارة، حيث من المحتمل أن تظل هناك لفترة طويلة جدا" وأنها "بذلك، تعود إلى المكانة التي شغلتها خلال معظم تاريخ البشرية".

وعلى مدى العامين الماضيين، شهد عدد كيانات السوق المنشأة حديثا في الصين زيادة كبيرة، في حين أصبح الهيكل الاقتصادي أكثر توافقا مع وجود محركات للنمو أقوى، مما يظهر مرونة قوية وإمكانات هائلة ومساحة واسعة للمناورة.

وحافظ اقتصاد البلاد على تنمية مستقرة. ونما إجمالي التجارة في السلع فيها ليصبح الأكبر في العالم. واستمر اقتصادها، الذي ظل لسنوات عديدة ثاني أكبر اقتصاد في العالم، في التوسع بإطراد، مع زيادة سنوية في الناتج المحلي الإجمالي تعادل الحجم الاقتصادي لبلد متقدم متوسط الحجم.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، خضع عشرات المسؤولين على مستوى المقاطعات والوزارات وما فوقه للتحقيق والمساءلة، كما عوقب نحو ١٠٠ ألف شخص لانتهاكهم قرار "الضوابط الثمانية". وبفضل حملة التثقيف والتطبيق حول الخط الجماهيري للحزب، حدثت تحسينات كبيرة في أسلوب عمل الحزب والحكومة.

وتجعل التحسينات المطردة في معيشة الشعب حلم الصين أكثر واقعية، حيث يتمتع المواطنون بوظائف أكثر استقرارا وتعليم أفضل وظروف سكن محسنة ورعاية طبية معززة.

وساهمت جهود القيادة الوطنية في تعزيز الثقافة التقليدية الرفيعة وتأسيس يوم الدستور الوطني ويوم الذكرى الوطني، إلى جانب جهود أخرى، في تنمية ثقة ثقافية متزايدة وحس أقوى بالتماسك الوطني.

وعلى الساحة الدولية، كانت مساعي الصين مذهلة أيضا خلال العامين الماضيين، مع مبادرات

كبرى تشمل مبادرة الحزام والطريق، والبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، واختتام مفاوضات اتفاقيات التجارة الحرة مع اقتصادات كبرى، مثل جمهورية كوريا وأستراليا.

وعلى الصعيد العسكري، عزز جيش التحرير الشعبي الصيني بشكل ملحوظ جاهزيته القتالية وقدرته على كسب الحروب من خلال تدريبات عسكرية متنوعة ومهام تدريبية مختلفة.

وبحسب روني لينز، وهو خبير برازيلي في الشؤون الدولية، فإن الحزب الشيوعي الصيني يبني الأساس لصعود الأمة بأسلوب منهجي وعازم في آن واحد، متخذا إجراءات ملموسة وأساسية، واحدة تلو الأخرى، لتحقيق حلم الصين.

وبالتأكيد، تتقدم هذه الحضارة العريقة على مسار تحقيق النهضة الوطنية، مبشرة بعصر جديد لتحقيق حلم الصين.